

الغارات

[765] يجعل لي منهم فرجا عاجلا، فوا [لولا طمعي عند لقائي عدوي في الشهادة وتوطيني نفسي علىمنية لاحتبت أن لا أبقى مع هؤلاء يوما واحدا ولا التقى بهم أبدا]. قال ابن أبي الحديد في شرح الكتاب ما نصه (ج 4، ص 54 - 55): (انظر إلى الفصاحة كيف تعطي هذا الرجل قيادها وتملكه زمامها، وأعجب لهذه الالفاظ المنصوبة يتلو بعضها بعضا كيف تواتيه وتطاويعه سلسلة سهلة تتدفق من غير تعسف ولا تكلف حتى انتهى إلى آخر الفصل فقال: يوما واحدا، ولا التقى بهم أبدا. وأنت وغيرك من الفصحاء إذا شرعوا في كتاب أو خطبة جاءت القرائن والفواصل تارة مرفوعة، وتارة مجرورة، وتارة منصوبة، فان أرادوا قسرها بأعراب واحد طهر منها في التكلف أثر بين وعلامة واضحة، وهذا الصنف من البيان أحد أنواع الإعجاز في القرآن، ذكره عبدالقاهر قال: انظر إلى سورة النساء وبعدها سورة المائدة، الأولى منصوبة الفواصل، والثانية ليس فيها منصوب أصلا، ولو مزجت إحدى السورتين بالآخرى لم تمتزجا وظهر أثر التركيب والتأليف بينهما، ثم ان فواصل كل واحدة منهما تنساق سياقة بمقتضى البيان الطبيعي لا الصناعة التكلفية. ثم انظر إلى الصفات والموصوفات في هذا الفصل كيف قال: (ولدا ناصحا، وعاملا كادحا، وسيفا قاطعا، ور كنا دافعا) لو قال: ولدا كادحا وعاملا ناصحا وكذلك ما بعده لما كان صوابا ولا في الموقع واقعا فسبحان الله من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة ؟ ! أن يكون غلام من أبناء عرب مكة ينشأ بين أهله لم يخالط الحكماء وخرج أعرف بالحكمة ودقائق العلوم الإلهية من أفلاطون وأرسطو، ولم يعاشر أرباب الحكم الخلقية والآداب النفسانية لان قريشا لم يكن أحد منهم مشهورا بمثل ذلك وخرج أعرف بهذا الباب من سقراط، ولم يرب بين الشجعان لان أهل مكة كانوا ذوي تجارة ولم يكونوا ذوي حرب وخرج أشجع من كل بشر مشى على الأرض، قيل لخلف الأحمر: أيما أشجع ؟ عنيسة وبسطام أم علي بن - أبي طالب ؟ - فقال: إنما يذكر عنيسة وبسطام مع البشر والناس، لامع من يرتفع عن